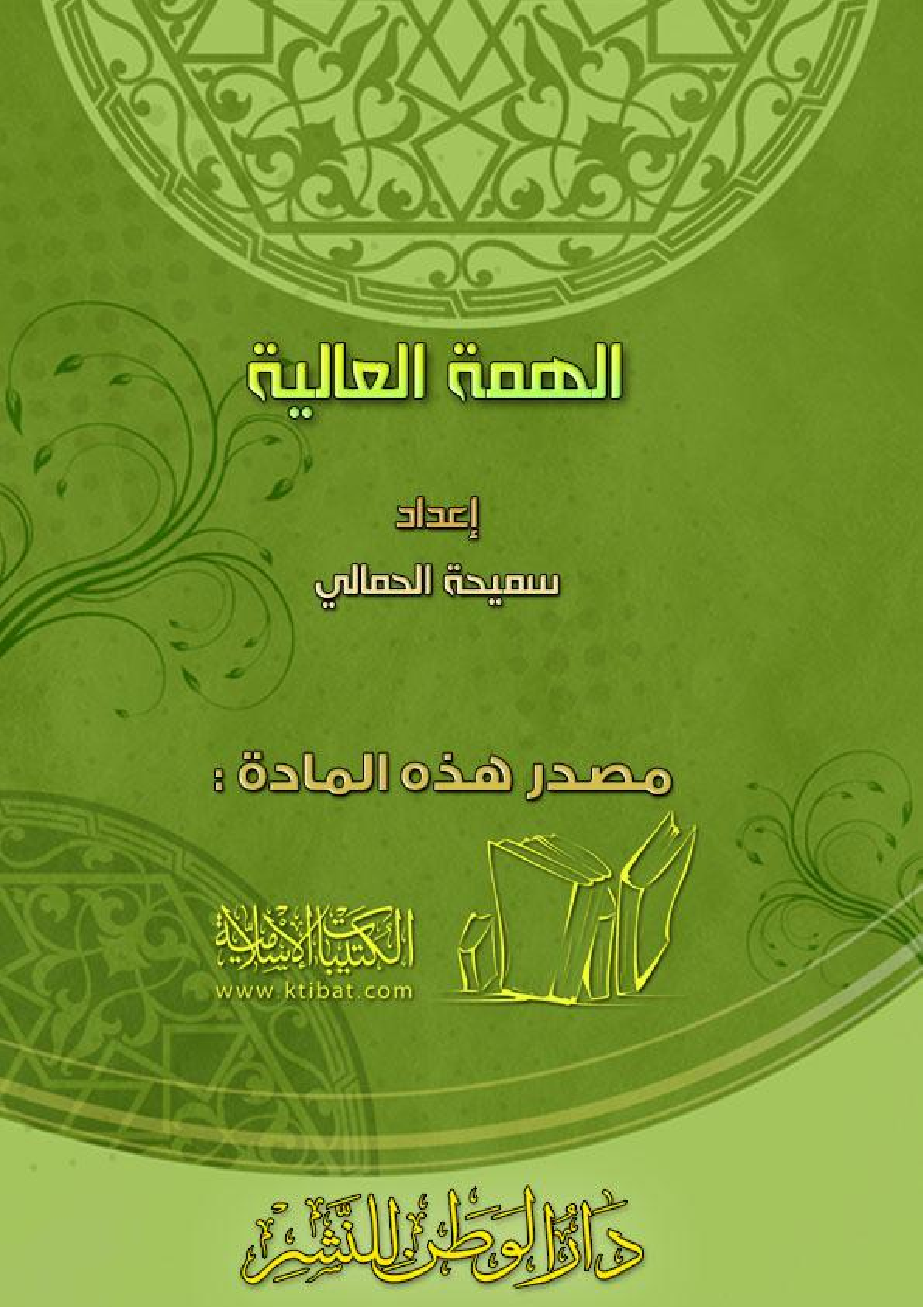

الهمة العالية
إعداد
سميحة الحمالي
مصدر هذه المادة :
الكتيبات الإسلامية
www.ktibat.com
دار الوطن للنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمدًا كثيراً طيبًا مباركًا فيه كما يحب ربنا ويرضى، والشكر له على، ما أولى من نعم سابغة وأسدى، أحمده سبحانه وهو الولي الحميد، وأتوب إليه جل شأنه وهو التواب الرشيد...

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده، لا شريك له شهادة نستجلب بها عمه ونستدفع بها نقمه، وندخرها عدة لنا يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم... والصلاة والسلام على خير خلق الله معين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين الذين أضاؤوا بهمتهم العالمين...

معنى الهمة

جاء في القاموس: (هـ م م): «ما هم به من أمر ليفعل».

فالهمة هي الباعث على الفعل، وتوصف بعلو أو سفول، فمن الناس من تكون همته عالية علو السماء، ومنهم من تكون همته قاصرة دنيئة سافلة تهبط به إلى أسوأ الدرجات.

وعرف بعضهم علو الهمة فقال: هو استصغار ما دون النهاية من معالي الأمور.

ويمكن أن يُعرف دنو الهمة فيقال: هو إيثار الدعة، والرضا بالدون، والقعود عن معالي الأمور.

وقد قيل: (المرء حيث يجعل نفسه، إن رفعها ارتفعت، وإن قصر بها اتضعت).

لماذا الحديث عن علو الهمة؟

إن الهمة العالية خصلة شريفة وخلق رفيع، والناس إنما تعلو أقدارهم وترتفع منازلهم بحسب أنصبتهم من علو الهمة وشرف المقصد... فمن علت همتها اتصفت بكل جميل، ومن دنت همتها اتصفت بكل خلق رذيل.. وإن مما يُلاحظ على مجتمعنا الإسلامي دنو الهمم، والرضا بالدون والاشتغال بالسفاسف والمحقرات سواءً أفرادًا أو جماعات إلا من رحم ربك وقليل ما هم...

فما أحوجنا أن نرجع إلى ديننا، وأن نعلي هممنا حتى نعود إلى عزتنا ونشاطنا وائتلافنا... فهذه محاولة لنمضي سويًّا نبتغي العلو في أمورنا كلها... عسى الله أن يبارك فيها وينفع بها قارئتها...

الهمة محلها القلب

الهمة عمل قلبي، والقلب لا سلطان عليه لغير صاحبه، وكما أن الطائر يطير بجناحيه كذلك يطير المرء بهمته، فتحلق به إلى أعلى الآفاق طليقةً من القيود التي تكبل الأجساد.. نقل ابن قتيبة عن بعض كتب الحكمة: «ذو الهمة إن حط، فنفسه تأبى إلا علوا، كالشعلة من النار يخفيها صاحبها، وتأبى إلا ارتفاعًا».

إضاءة: كلما كان القلب أتم حياةً.. كانت همته أعلى وإرادته ومحبته أقوى..

لماذا نستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير؟

السبب الذي يجعل كثيراً من الناس يطلبون الأدنى من الأمور.. فساد العلم، وكثرة الجهل، وضعف الهمة.. كم منا من همها مأكلها ومشربها وملبسها، وأمور لا تنفع ولا تضر! نسينا هم قلوبنا واشتغلنا بما يجلب الهم والكدر لنفوسنا..! قوة إيماننا في قلوبنا، فلماذا نشتغل عنها بالحقير من الأعمال..؟!

حـاول جسـيمات الأمـور ولا تقـل إن المحامـــــد والعلـــــى أرزاق

وارغـب بنفسـك أن تكـون مقصـرًا عــن غايــة فيهــا الطــلاب ســباق

يا عالية الهمة.. بقدر ما تعتنين تنالين ما تتمنين

قال الإمام المحقق ابن القيم رحمه الله: (وقد أجمع عقلاء كل أمة على أن النعيم لا يُدرك بالنعيم، وأن من آثر الراحة فاتته الراحة، وأن بحسب ركوب الأهوال واحتمال المشاق تكون الفرحة واللذة، فلا فرحة لمن لا هم له، ولا لذة لمن لا صبر له، ولا نعيم لمن لا شقاء له، ولا راحة لمن لا تعب له. بل إذا تعب العبد قليلًا استراح طويلًا، وكل ما فيه أهل النعيم المقيم فهو صبر ساعة!!)

أخيتي... متى نكون من العقلاء وندرك أن من آثر الراحة فاتته الراحة، وأن لا لذة لمن لا صبر له؟!!

علام تندم عالية الهمة؟

أتندم على فوات لذة أو فراق شهوة؟.. كلا فهذا شأن خسيسة الهمة.. إنها تتحسر على ساعة مرت بها في الدنيا لم تعمرها بذكر الله عز وجل.. قال رسول الله ﷺ:«ليس يتحسر أهل الجنة على شيء إلا على ساعة مرت بهم لم يذكروا الله عز وجل فيها».

الله أكبر.. ونحن ماذا عن حالنا؟!

أيكون على ذلك ندمنا وحسرتنا؟!

حال خسيسة الهمة

كلما همت أن تسمو إلى المعالي ختم الشيطان على قلبها: «عليك ليل طويل فارقدي»، وكلما سعت في إقالة عثرتها والارتقاء بهمتها عاجلتها جيوش التسويف والتمني، ونادتها نفسها الأمارة بالسوء «أنت أكبر أم الواقع؟!».

«خسيسة الهمة.. معدودة من سقط المتاع، وموتها وحياتها سواء، لا تُفتقد إذا غابت، ولا تُسأل إذا حضرت.. لأنها رضيت بالدنيا، ونسيت الآخرة..».

يا قوم! أضروا بالفاني للباقي

يقول الرسول ﷺ: «إن أول الناس يقضي يوم القيامة عليه رجل استشهد فأتى به فعرفه نعمته فعرفها قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت، قال: كذبت ولكنك قاتلت لأن يقال جرئ فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار،

ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتى به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت ولكنك تعلمت ليقال عالم وقرأت القرآن ليقال هو قارئ فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال فأتى به فعرفه نعمه فعرفها قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك، قال: كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جواد فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقي في النار».

فمن أرادت الآخرة أضرت بالدنيا، ومن أرادت الدنيا أضرت بالآخرة، والدنيا جيفة والأسد لا يقع على الجيف.

القرآن يدعوك إلى علو الهمة

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ﴾ [التوبة: ٣٨].

من منا لم يرض؟ ومن منا آثر الأخرى على الأولى؟

إن كنت ممن علت هممهم وتاقت نفوسهم إلى الجنة فأنت حتمًا ستقولين: لبيك ربي حينما تقرأين قوله الحق: ﴿وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

غاليتي: تدربي هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥].

وكذلك السنة تدعوك لعلو الهمة

من غرائب توجيه الإسلام إلى خلق علو الهمة ما رواه البخاري عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله يحب العطاس، ويكره التثاؤب، فإذا عطس أحدكم فحمد الله — تعالى — فحق على كل مسلم سمعه أن يشمته. أما التثاؤب فإنما هو من الشيطان، فإذا تثاءب أحدكم فليرده ما استطاع، فإن أحدكم إذا تثاءب ضحك منه الشيطان».

فالعطاس الذي لا يكون عن مرض كالزكام — هزة عصبية — موقظة للنشاط والعمل، بخلاف التثاؤب فهو من ظواهر الفتور والكسل، وميل الأعصاب إلى الاسترخاء، وعزوف النفس عما يحركها للعمل، وكل ذلك من نزول الهمة، ولذلك جعل الرسول ﷺ التثاؤب من الشيطان، أي مما يرضي الشيطان، وإنما قال ذلك؛ تنفيراً منه، وتحذيراً للمسلم من الوقوع فريسة لمثبطات الشيطان.

فاستعدي للآخرة، وتذكري قول شريف الهمة ﷺ: «من كانت الآخرة همه جعل الله غناه في قلبه وجمع له شمله وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه وفرق عليه شمله ولم يأته من الدنيا إلا ما قدر له».

وارسمي لنفسك كبر الهمة، ولا تنفلتي منها. عن العرباض ﷺ قال رسول الله ﷺ: «إذا سألتم الله – تعالى – فاسألوه الفردوس فإنه سر الجنة» أي: أفضل موضع فيها.

علو همة السلف الصالح في طلب العلو

إن العلم لما كان أشرف الأشياء، لم يحصل إلا بالتعب والسهر والتكرار وهجر اللذات والراحة، حتى قال بعض الفقهاء: (بقيت سنين أشتهي الهريسة لا أقدر، لأن وقت بيعها وقت سماع الدرس).

فعليك يا طالبة العلم أن تجدي في التحصيل فإن الأمر كما قال ابن الجنيد: (ما طلب أحد شيئًا بجد وصدق إلا ناله، فإن لم ينله كله نال بعضه).

علو الهمة في طلب العلم.. غيرة على الوقت، عزم وحرص، غوص في البحث عن نفائس العلوم، ألسنة مهذبة لا تقع في الباطل.. فبادري!

ومما يدل كذلك على علو هممهم ما قاله الشافعي – رحمه الله –: (حفظت القرآن وأنا ابن سبع سنين، وحفظت «الموطأ» وأنا ابن عشر سنين). وقيل له: كيف شهوتك للعلم؟ قال: (أسمع بالحرف – أي: بالكلمة – مما لم أسمعه، فتود أعضائي أن لها أسماعًا تتنعم به ما تنعمت به الأذنان).

الله أكبر...

كم مضى من أعمارنا لم نحفظ فيها شيئًا من القرآن؟!

وكم من كلمات الحق سمعناها ما تنعمنا بها؟!

كانت لهم همة في مذاكرة العلم.. فأين همتك؟

قال إبراهيم النخعي: (من سره أن يحفظ الحديثُ، فليحدث به، ولو أن يحدث به من لا يشتهيه فإنه إذا فعل ذلك كان كالكتاب في صدره).

حكى اليونيني عن الإمام النوروي – رحمه الله –: (أنه كان لا يضيع له وقت في ليل ولا نهار إلا في وظيفة من الاشتغال بالعلم، حتى إنه في ذهابه في الطريق وإيابه يشتغل في تكرار محفوظة أو مطالعة وإنه بقي على التحصيل – على هذا الوجه – ست سنين).

ست سنين ما ضاع له من وقته شيء!! وإذا قضينا وقتًا يسيراً في طلب علم شكونا الملل والتعب وضيق الوقت!!

العلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك».

علو همتهم في العبادة والاستقامة

لقد أدرك سلفنا الصالحون حقيقة الدنيا فارتفعت همتهم على السفاسف، فلا يرون إلا صوامين قوامين باكين والهين..

يقول الحسن: (من نافسك في دينك فنافسه، ومن نافسك في دنياه فألقها في نحره).

وقيل لنفاع: ما كان ابن عمر يصنع في منزله؟ قال: (الوضوء لكل صلاة، والمصحف فيما بينهما).

وقيل لعامر بن عبد الله: كيف صبرك على سهر الليل وظمأ الهواجر؟ فقال: (هل هو إلا أني صرفت طعام النهار إلى الليل، ونوم الليل إلى النهار.. وليس في ذلك خطير أمر).

وعن أحمد بن حرب قال: (يا عجبا لمن يعرف أن الجنة تزين فوقه، والنار تسعر تحته، كيف ينام بينهما؟!.

وعن موسى بن إسماعيل قال: (لو قلت لكم إني ما رأيت حماد ابن سلمة ضاحكًا قط صدقتكم، كان مشغولًا بنفسه، إما أن يحدث وإما أن يقرأ وإما أن يسبح وإما أن يصلي، كان قد قسم النهار على هذه الأعمال).

ما دخلوا في صلاة وفي أنفسهم غير الله، وما تكلموا بكلمة ولا فعلوا فعلًا إلا وقد أعدوا له جوابًا بين يدي الله.. لكن لو نظرت إلى حال كثير من الناس اليوم.. ثقل في أداء الصلاة، قلة رغبة في أداء النوافل، غفلة عن القرآن، تكاسل عن قيام الليل... والله المستعان.

يا حسرتاه تقضي العمر وانصرمت ساعاته بين ذل العجز والكسل

والقوم قد أخذوا درب النجاة وقد ساروا إلى الطلب الأعلى على مهل

حال الأمة عند سقوط الهمة

إن سقوط الهمم وخساستها حليف الهوان، وقرين الذل والصغار، وهو أصل الأمراض التي تفشت في أمتنا، فأورثتها تقليدًا أعمى وكسلًا

واستسلامًا لما يسمى «الأمر الواقع». فقد رأينا في عصرنا هذا كيف ركع الجندي العراقي أمام نعلي الجندي الأمريكي يتمسح فيهما ويقبلهما سائلًا إياه العفو والصفح، بينما يربت الأخير على كتفه قائلًا له في مشهد تمثيلي مخزٍ: (لا تجزع.. لا بأس عليك!).

ثم نرى من يسوغ تعبيد الأمة بحجة أن ما نحن فيه «تسبب فيه من قبلنا، وسيصلحه من بعدنا»! فلم تعد الخيانة عارًا يستر ولكنها شرف يظهر ومفخرة يُتهافت عليها.

وفي عصرنا رأينا شبابًا ينتسبون إلى الإسلام تصاغرت هممهم فلم تنشغل إلا بسفاسف الأمور ومحقراتها، ورأيناهم يمعنون في التشبه بالكفار، بل يعلقون على صدورهم وسياراتهم أعلام الدول التي أذلت كبريائهم، وطأطأت أعناقهم، وأهدرت كرامتهم، واستعبدت أمتهم.

عصاة المسلمين اليوم ضحية تربية أخلدتهم إلى الأرض، أرادت لهم الفسوق ابتداءً، لتستخف بهم الطواغيت انتهاء. فهل أدركنا هذه السياسة، سياسة محاربة المساجد بالمراقص، ومحاربة العقائد بأساتذة حرية الفكر..؟ متى يتحرك الشعور الهاجد، ويستيقظ الوجدان النائم؟! متى تفيق في الإنسان إنسانيته، ويأبى هذه العبودية ويجاهد؟

عالية الهمة تحمل هم الأمة

فتظمأ حيث يروى الناس، وتسهر حيث ينامون، وتجوع حيث يشبعون، وتتعب حيث يستريحون، وتقدم حيث يحجمون...

قال ﷺ: «من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة»، وتصف فاطمة بنت عبد الملك زوجها أمين المؤمنين عمر بن عبد العزيز فتقول: «كان قد فرغ للمسلمين نفسه، ولأمورهم ذهنه، فكان إذا أمسى مساءً لم يفرغ فيه من حوائج يومه، وصل يومه بليلته».

فمن عرفت الله لا تهرب من شيء ولا تخاف من شيء سواه... تجيب داعي الله أينما كان بلا تلكؤ ولا تلعثم ولا تردد..

نحن في ذي الحياة ركب سفار يصل اللاحقين بالماضينا

قد هدانا السبيل من سبقونا وعلينا هداية الآتينا

من أسباب دنو الهمة

١- **الفتور**: عن أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – أن رسول الله ﷺ قال: «يا أيها الناس! خذوا من الأعمال ما تطيقون، فإن الله لا يمل حتى تملوا، وإن أحب الأعمال إلى الله ما دام وإن قل».

وقال ﷺ لعبد الله بن عمرو – رضي الله عنهما –: «لا تكن مثل فلان كان يقوم الليل فترك قيام الليل».

الوقت أنفس ما عنيت بحفظه

يقول الرسول ﷺ: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ»، وأسهل ما يضيع علينا أوقاتنا، فتهدر في الزيارات والسمر

وفضول المباحات، فتنحط الهمة وتضعف العزيمة.. يقول الفضيل بن عياض: (أعرف من يعد كلامه من الجمعة إلى الجمعة). وكان عثمان الباقلاوي دائم الذكر لله – تعالى – فقال: (إني وقت الإفطار أحس بروح كأنها تخرج، لأجل اشتغالي بالأكل عن الذكر).

كم شغلتنا بطوننا عن الرزاق سبحانه.. وكم ألهتنا أحاديثنا عن ذكر الله وما نزل من الحق..

لا تقعدي فراغًا فإن الموت يطلبك.

لا تعجزي ولا تكسلي..

فتشل طاقتك وتدنو همتك.. فالعاجزة ربما تعذر لعدم قدرتها، بخلاف الكسولة التي تتثاقل وتتراخى عما ينبغي مع القدرة.

رُوي أن رجلًا قال لخالد بن صفوان: (مالي إذا رأيتكم تذاكرون الأخبار، وتدارسون الآثار، وتناشدون الأشعار، وقع علي النوم؟) فقال: (لأنك حمار في مسلاخ إنسان).

وقد أمرك نبيك ﷺ بالتعوذ من العجز والكسل.. فلماذا تجعلينها أحب الأعذار إليك؟! أين أنت من أهل الباطل الذين يجهدون ويألمون في نصر باطلهم؟!

- والله – لهو المصاب الجلل أن نجد أنصار الحق متخاذلين لا صبر لهم ولا مثابرة، وقد زهدوا بما عند الله من عظيم الثواب، وأمنوا مما لديه من أليم العقاب؟! والله – تعالى – يقول: ﴿إِنَّ اللّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨].

أخيـه: إذا لم تزيدي شيئًا في الدنيا فسوف تكوني زائدة عليها فلا تكوني على هامش الحياة!!

لابد من رقاد الغفلة.. ولكن كوني خفيفة النوم

والمراد تقليل الراحة إلى أدنى ما يكفي الجسم، لأن المؤمن في هذا الزمان أشد حاجة للانتباه ومعالجة قلبه وتفتيشه لكثرة ما يتعرض له من الفتن وأنواع الرذائل، فوجبت عليه مجاهدة نفسه ومراقبة وقته.

سُئل ابن الجوزي: (أيجوز أن أفسح لنفسي في مباح الملاهي؟) فقال: (عند نفسك من الغفلة ما يكفيها).

غاليتي: ما لم تقومي بالعبء أنت فمن يقوم به إذن؟!

التسويف والتمني

هما صفتا بليدة الحس، عديمة المبالاة، التي كلما همت نفسها بخير إما تعيقها بـ«سوف» حتى يفاجئها الموت فتقول: ﴿رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ [المنافقون: ١٠]، وإما تركب بها بحر التمني، فتود النجاح ولا تريد أن تدفع ثمنه، إنما تنتظر أن تمطر السماء ذهبًا أو تنشق الأرض عن كنز..!!

عالية الهمة علمت أن العمر قصير فلا مكان لديها لسوف وحتى!!

فانهض إذا ما لمحت الخير في عمل ... وخـل (سـوف) لعـزم خامـل واه

لا تلاحظي سافلة الهمة

فإن (طبعك يسرق منهم وأنت لا تدري، وليس أعداء الجليس جليسه بمقاله وفعاله فقط، بل بالنظر إليه! والنظر في الصدور يورث في النفوس أخلاقًا مناسبة لخلق المنظور إليه... ومن المشاهد أن الماء والهواء يفسدان بمجاورة الجيفة، فما الظن بالنفوس البشرية؟!). فحذار من مجالسة المثبطين من أهل التعطل والعبث.

ولا تجلس إلى أهل الدنايا فإن خلائق السفهاء تعدى

كل شيء صعب جدًا عند النفوس الصغيرة جدا!!

اختلاق المعاذير من أسباب دنو الهمة بل من أعظمها، ذلك أنك تسوغين بها أخطاءك وتعلقين عليها عجزك.. قد تكون هذه المعاذير حقيقة، كسوء الحظ والظروف غير المناسبة والتربية غير السليمة أو الصحبة وقلة الذكاء.. لكن لا يليق بالعاقلة أن تستسلم لها أو أن تسترسل معها، أنت قادرة على التغلب على كثير من الصعاب فالباب مفتوح على مصراعيه لمن أرادت المعالي وسعت لها سعيها..
لا صعوبة عظيمة عند النفس العظيمة.

لترتقي بهمتك عليك بالآتي:

المعلم والبصيرة: فيورث صاحبته الفقه بمراتب الأعمال، ويبصرها بحيل إبليس وتلبيسه عليها، كي يحول بينها وبين ما هو أعظم ثوابًا،

قال أبو سليمان: (يجيئك – أي إبليس – وأنت في شيء من الخير فيشير لك إلى شيء من الخير دونه ليربح عليك شعيرة)!
فعليك بالعلم لتزيلي عنك غشاوة الجهل، فيستنير قلبك بنوره وعقلك ببرهانه وتمتلئ نفسك بالإيمان ويزيدك علو في الهمة..

﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾

فكثرة ذكر الموت.. تدفع إلى العمل للآخرة، وتوقظ العزائم.. فإذا أمسيت فلا تنتظري الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظري المساء.. وخذي من حياتك لموتك.. جددي التوبة، فإن يوم موتك آتٍ لا محالة. فلمثل ذلك اليوم فأعدي..
«إن صاحبة الهمة العظيمة لا تقنع بملء وقتها بالطاعات، إنما تفكر أن لا تموت حسناتها بموتها».

﴿وقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾

الدعاء سنة الأنبياء وجالب كل خير..
يقول الرسول ﷺ: «إذا تمنى أحدكم فليكثر فإنما يسأل ربه».
فإذا رأيتِ في نفسك عجزاً فسلي المنعم، أو كسلاً فالجئي إلى الموفق، وأكثر فإنما تسألين ربك، فلن تنالي خيراً إلا بطاعته ولن يفوتك خير إلا بمعصيته.
يقول النبي الكريم صلوات ربي وسلامه عليه: «أعجز الناس من عجز عن الدعاء».

كل قرين بالمقارن يقتدي

إن العبد ليستمد من لحظ الصالحين قبل لفظهم، لأن رؤيتهم تذكره بالله عز وجل، لذا عليك بمن علت همتها وسمت مقاصدها، من إذا رأيتها ذكرت الله عز وجل.. اصحبيها فإنها تعلمك منافسة الزمان، ولتكوني معها مفاتيح للخير مغاليق للشر..

يقول عمر ﷺ: (ما أعطي عبد بعد الإسلام خيراً من أخ صالح، فإذا رأى أحدكم وداً من أخيه فليتمسك به).

«اصحبي من إذا ساءت منك الظنون وضاقت بك الأرض.. وجدت عندها من الانشراح والقوة والطمأنينة ما يذهب ذلك كله».

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾

لتعلو همتك لابد من الصبر، بادري في كل الظروف ولا تستسلمي لأمر الواقع حماية لهمتك من أن تهمد. ومن أخرت الفرصة عن وقتها فلتكن على ثقة من فوتها.

ولنا في رسول الله ﷺ أحسن الأسوة .. فإنه لما خرج مهاجراً إلى المدينة ومعه أبو بكر الصديق ﷺ لقيا في طريق الهجرة بريدة بن الحصيب الأسلمي في ركب من قومه فيما بين مكة والمدينة، فدعاهم إلى الإسلام فأسلموا، فلم يشغله مطاردة قريش إياه عن واجب الدعوة إلى الله.

وهذا شيخ الإسلام ابن تيميه يكتب فتاواه وهو سجين ويرسلها إلى تلاميذه، ولما أصدر السلطان أمراً بإخراج ما عنده من الكتب

والأقلام والأوراق ظل يكتب فتاواه ورسائله بالفحم وعلى جدار السجن..!

ما أعظمها من مجاهدة..

رسولنا الكريم تطارده قريش وتريد القضاء عليه، ومع ذلك يدعو إلى ربه، وهذا سجين لم يمنعه سجنه من نشر العلم..

فأين أنت يا من عشت بين أهلك وأحبابك؟!

أين مجاهدتك لنفسك؟!

إخلاص + صدق + بذل + مجاهدة وصبر = همة عالية

«كان الإمام أحمد يحفظ ٧٠٠٠٠٠ حديث، ويصلي في اليوم ٣٠٠ ركعة!».

«أجاب ابن تيمية عن سؤال رجل ٢٣٠ صفحة وصاحب السؤال ينتظره!».

وكتب العقيدة الحموية بين الظهر والعصر وهي تُدرس الآن في سنوات!

«سافر الشافعي ويحيى وابن حنبل.. وعندما استيقظوا سأل بعضهم بعضًا عن عملهم في الليل، فقال الشافعي: بحثت في ١٠٠ مسألة أشرحها لطلابي! وقال يحيى: دفعت ٣٠٠ كذبة عن أحاديث الرسول ﷺ! وقال أحمد: لم أنم حتى أكملت ختمتي من القرآن!

«أحد المشايخ حفظ ألفية العراقي وهو يتوضأ، كلما توضأ حفظ بيتًا حتى أكملها!».

«الشيخ عمر بن محمد بن سليم في ليلة زواجه أُشكل عليه تفسير آية فنزل إلى مكتبته يبحث في المسألة حتى الصباح!».

لابد من التشجيع لتنهض الهمة

روى البخاري في صحيحه أن عمر بن الخطاب ﷺ سأل بعض الصحابة عن آية في القرآن الكريم فلم يعرفوا الإجابة، وكان بينهم عبد الله بن عباس وهو صغير السن فقال: (في نفسي منها شيء يا أمير المؤمنين)، قال عمر: (يا ابن أخي قل، ولا تحقر نفسك) فأجابه.

وعلى هذا السنن سار ابن عباس منذ طفولته غير مبال بتثبيط من هو أقصر منه همة.

ولو تتبعنا سير العلماء والمصلحين لوجدت أن كثيراً منهم قد نال ما نال بسبب كلمة سمعها غيرت مسار حياته، أو كانت سببًا في ثباته.

فهذا الإمام أحمد – رحمه الله – لما ابتلي بفتنة القول بخلق القرآن كان من أسباب ثباته رجل من عامة الناس بل هو لص طرار.

قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: (كنت كثيراً أسمع والدي يقول: رحم الله أبا الهيثم، غفر الله لأبي الهيثم، عفا الله عن أبي الهيثم، فقلت: يا أبه، من أبو الهيثم؟

فقال: لما أُخرجت للسياط، ومُدت يداي للعقابين، إذ أنا بشاب يجذب ثوبي من ورائي ويقول لي: تعرفني؟ فقلت: لا، قال: أنا أبو الهيثم العيار، اللص الطرار، مكتوب في ديوان أمير المؤمنين أني ضُربت

ثمانية عشر ألف سوط بالتفاريق وصبرت في ذلك على طاعة الشيطان لأجل الدنيا، فاصبر أنت في طاعة الرحمن لأجل الدين).. ما أعظمها من كلمات..

ما أعظم التشجيع عندما يأتي في وقت الشدة وهبوط الهمة، فيتغير الحال وتعلو الهمة ويصبح للحياة طعم آخر..

عجبت لمن تسعى في تثبيط الهمم، أليس من الأجدر بها أن تشفق على نفسها، وتشتغل بما يعود عليها وعلى غيرها بالنفع.

التشجيع إنما هو كلمة طيبة أو هدية أو رسالة شكر، فما الصعب إذن حتى نلجأ إلى الصمت أو تثبيط من حولنا..؟!

الشباب.. ضيف سريع الرحيل، فأين اغتنامه؟

لما جيء بـ«حطيط الزيات» إلى الحجاج، قال له الحجاج: أنت حطيط؟ قال: نعم.. سل ما بدا لك فإن عاهدت الله عند المقام على ثلاث خصال: (إن سُئلت لأصدقن، وإن ابتليت لأصبرن، وإن عوفيت لأشكرن)، فقال الحجاج: فما تقول فيّ؟، قال حطيط: أقول: إنك من أعداء الله في الأرض، تنتهك المحارم وتقتل بالظنة، قال الحجاج: فما تقول في أمير المؤمنين عبد الله بن مروان؟، قال: أقول: إنه أعظم جرمًا منك، وإنما أنت خطيئة من خطاياه. فأمر الحجاج بتعذيبه، حتى انتهى به العذاب إلى أن يُشفق له القصب، ثم جعلوه

على لحمه وشدوه بالحبال، ثم جعلوا يمدون قصبة قصبة حتى انتحلوا لحمه، فما سمعوه يقول شيئًا ولا بدا عليه جزع أو ضعف، فأُخبر الحجاج بأمره وأنه في الرمق الأخير، فقال: أخرجوه فارموا به في السوق. ووقف عليه رجل وهو بين الحياة والموت يسأله: ألك حاجة؟، فما كان من حطيط إلا أن قال: مالي من حاجة في دنياكم إلا شربة ماء، فأتوه بشربة شربها ثم مات.

أتعلمين كم كان عمره؟!... ثماني عشرة سنة..!

لله درها من قوة ومن همة، هكذا الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب..

تأملي.. عُذب فما جزع وما ضعف، ثم رُمي به في السوق ليموت.. وما نقض عهده مع الله لأجل الدنيا..!

وأنا وأنت كيف هي همتنا؟

بل كيف هي قوة إيماننا؟

ما لنا من كلمة عابرة أو موقف بسيط تتغير أحوالنا.. فتدنو الهمة ويطغى الحزن؟!

إن الشباب لا يعود، فأين نحن من وعد الرسول – صلى الله عليه وسلم – حين قال: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله.. وذكر شابًا نشأ في عبادة الله».

الآن هو وقت القدرة على الطاعة، فإن لم تقدري عليها، وتلزمي نفسك بها فمتى يكون ذلك؟!

هل سنستظل سويًّا بظل الرحمن يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم؟

سارعي.. فالشباب ضيف سريع الرحيل!

أنتِ الأمل المنتظر..

سابقي إلى جنة عرضها السماوات والأرض، وحذاري أن تغفلي ولو لحظة..

أمتك تنتظر منك أن تغرسي بذرة الأمل في بيداء اليأس، وأن تزاحمي قوافل المصلحين لترتقي بها للمجد، ولا تؤجلي إلى الغد شيئًا من أمرك فإن غدا قد لا يكون..

لا تيأسي ولا تحزني! فإن رسولك يبشرك بقوله: «ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يبقى بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل، عزاً يعز الله به الإسلام، وذلًا يذل به الكفر».

وعلى قدر المئونة تأتي من الله المعونة، فاستعيني بالله ولا تعجزي.

* * *

ختامًا..

إن ندَّ بيان أو عي لسان، فالعذر العذر ولا غنى للمرء عن تسديد أخوانه ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾.

أسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن تجد هذه الكلمات قبولًا في القلوب وأثرًا في النفوس، فتوقظ الهمم من سباتها لنسير إلى حياة سامية وعز لا يبلى..

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

* * *

المراجع

علو الهمة: تأليف: محمد أحمد المقدم

الهمة العالية: تأليف: محمد إبراهيم الحمد

الهمة طريق إلى القمة: تأليف: د. محمد موسى الشريف

شريط (**الهمة في طلب العلم**) للشيخ الدكتور: عبد الكريم الخضير.